الفصل الأول

الطريق المتوى الى الحرب

"إننى أكره الحرب"

(فرانكلين ديلانو روزفلت)

ساد الولايات المتحدة شعور بالأمن فى عام ١٩٣٨؛ حيث لم تكن أى من القوى السياسية الشمولية الكبرى فى هذا القرن ـ سواء الفاشية أو الشيوعية ـ مصدر تهديد لأمريكا. فطالما استمرت بريطانيا وفرنسا فى التصدى لهتلر والنازيين، لم يكن هناك ما يدعو لخوف أمريكا عسكريّاً من ألمانيا، فضلاً عن ذلك فإنه فى هذه الفترة انتصر المعادون للشيوعية فى إسبانيا،كما استمرت حكومات وسط وشرق أوروبا المعادية للاتحاد السوفيتى فى جهودها لاحتواء الشيوعية.

وفى الجانب الآخر من العالم استمرت الولايات المتحدة بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا وهولندا فى السيطرة على منطقة المحيط الهادى؛ فسيطرت الولايات المتحدة على جزر الهاواى والفلبين، بينما سيطر الهولنديون على منطقة جزر الهند الشرقية الهولندية، التى تعرف اليوم بأندونيسيا، وسيطر الفرنسيون على الهند الصينية (التى صارت اليوم (لاوس) وكمبيوديا الديمقراطية وفيتنام أما البريطانيون فسيطروا على الهند وبورما وهونج كونج وماليزيا؛ وبذا هيمن نفوذ القوى الغربية على آسيا.

أما اليابان التى كان يحكمها الجيش فقد سادتها نزعة عدوانية تهدف إلى وضع نهاية لحكم الرجل الأبيض فى آسيا... وبالتالى كانت مصدرخطر على الوضع الراهن. غير أن اليابان فى هذه الفترة كانت تعانى من نقص الموارد الطبيعية الضرورية (خاصة البترول)، ومن الأعباء المترتبة على حربها فى الصين.

بالرغم من وجود روسيا فى تلك الأرض الشاسعة التى تصل أوروبا بآسيا، إلا أنها كانت ضعيفة ـ إلى حد ما ـ وليست لديها سياسة توسعية. وفى الشرق الأوسط وأفريقيا سيطر الاستعمار الأوروبى، بينما سيطر الاستعمار الاقتصادى الأمريكى على أمريكا اللاتينية لضمان الحصول على المواد الخام الرخيصة اللازمة للصناعات الأمريكية وتوفير أسواق مضمونة لها. وإن خفف من هذه السياسة فى هذه الفترة سياسة حسن الجوار، التى اتبعها فرانكلين روزفلت.

ولم تشعر الولايات المتحدة فى ١٩٣٨ بحاجة ماسة إلى إجراء تغييرات كبرى فى العالم، وبالتالى تمسك الكونجرس بسياسة العزلة التى كانت تعكس المزاج القومى آنذاك؛ فقد أثبتت لجنة «ناى» Nye، التى أجرت تحقيقاً فى مجلس الشيوخ أن «وول ستريت» ـ أو حى المال فى أمريكا ـ دفع الولايات المتحدة الى المشاركة فى الحرب العالمية الأولى ليحمى القروض التى منحتها البنوك للحلفاء، كما أنها دللت على أن الشركات حققت أرباحاً باهظة إبان الحرب فى نفس الوقت الذى تهربت فيه من الضرائب. ولذلك فإن التفسير الذى يقول: «إن خوض الحرب العالمية الأولى كان لمصلحة كبار رجال الأعمال» سرعان ما حاز قبول الجيل الذى عانى من سنوات الكساد الاقتصادى، والذى ألقى اللوم على نفس رجال الأعمال لمسئوليتهم عن الاضطرابات الاقتصادية التى كانت سائدة آنذاك.

ولقد كان اتجاه الرئيس الأمريكى نفسه مشجعا لسياسة العزلة، فعلى عكس «ونستون تشرشل» أو «هتلر» أو القادة اليابانيين. وعلى عكس ابن عمه «تيودور روزفلت»، لم يجد فرانكلين روزفلت ما يدعو إلى تمجيد الحروب أو أى شعور

عاطفى (رومانسى) نحوها،كما أنه لم يشعر أن الحرب تسهم فى دعم الروابط القومية.

وإذا لم يكن فرانكلين روزفلت رجلاً مهادنا فهو ـ بالتأكيد ـ لم يكن رجلاً ذا نزعة عسكرية. وكم تكررت المناسبات التى أعلن فيها بعاطفة جياشة: «إننى أكره الحرب».

لذا اتجهت السياسة الخارجية الأمريكية فى عام ١٩٣٨ إلى مساندة الوضع الراهن من خلال إصدار تصريحات غامضة فقط. ورغم إن روزفلت ووزير الخارجية «كورديل هال» وغالبية الشعب الأمريكى رفضوا فكرة سيطرة ألمانيا على أوروبا، أو سيطرة اليابان على آسيا.. إلا أنهم كانوا أيضا عازفين عن بذل أى مجهود يذكر، لوضع حد لتلك السيطرة، كما لم يكن لديهم أدنى استعداد لتطوير القوات المسلحة، على نحو يمكن الولايات المتحدة من التهديد بمعاقبة العدوان.

وفى منتصف مارس ١٩٣٩ اجتاحت جيوش هتلر تشيكوسلوفاكيا، إلا أن روزفلت لم يؤيد قرار مجلس الشيوخ الخاص بإلغاء حظر الأسلحة (الذى كان يتم العمل به فى حالة الحرب طبقاً لقرارات الحياد التى اتخذت فى منتصف الثلاثينيات)، وسمح للصناعات الأمريكية ببيع معدات الحرب لفرنسا وبريطانيا على أساس الدفع أولاً، وشحن البضائع بعد ذلك.

وبالرغم من أن روزفلت وغالبية الشعب الأمريكى أعلنوا تعاطفهم مع الدول الديمقراطية فى أوروبا.. إلا أن سلوك الولايات المتحدة أوضح لهتلر أنه فى المستقبل القريب لا يوجد مبرر للخوف من الولايات المتحدة.

وفى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ .. أعلن هتلر التحالف «النازى ـ السوفيتى»، الذى أدى إلى تقسيم بولندا بين روسيا وألمانيا، وبذلك تخلصت ألمانيا من كابوس خوض الحرب فى جبهتين فى آن واحد. وفى أول سبتمبر ١٩٣٩ اجتاح النازيون بولندا وبعدها بيومين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا، وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية.

كان لاندلاع الحرب أصداء واسعة الانتشار على الصعيد المحلى فى الولايات المتحدة؛ إذ انقسم الشعب الأمريكى على نفسه بشده إزاء رد الفعل الذى يجب تبنيه، وما يجب اتخاذه تجاه الحرب؛ فأنصار سياسة العزلة قاوموا اتخاذ أية خطوة قد يترتب عليها مساعدة الدول الديمقراطية فى أوروبا؛ تخوفاً من أن يؤدى ذلك إلى التزام الولايات المتحدة بمساندة الحلفاء حتى النصر، وبالتالى تجد نفسها قد انزلقت إلى الحرب رغما عنها، كما حدث فى ١٩١٧ . وعلى الجانب الآخر نادى مؤيدو سياسة التدخل بالتخلى عن سياسة الحياد، وتقديم المساعدة العسكرية لبريطانيا وفرنسا. أما فرانكلين روزفلت فقد اتخذ موقفا وسطا. وفى خطاب ألقاه أمام جلسة خاصة للكونجرس أعلن روزفلت أربع مرات بأن سياسته تهدف إلى إبقاء الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب، ثم طلب إلغاء الحظر على الأسلحة والموافقة على نظام «الدفع ـ والنقل» ، وهو ما وافق عليه الكونجرس فى نوفمبر ١٩٣٩ .

كان نظام «الدفع ـ والنقل» يرمز لكثير من الأحداث التالية؛ فقد أدى إلى وقوف الولايات المتحدة إلى جانب الدول الديمقراطية، كما أكد اهتمامها وصداقتها لدول أوروبا الغربية، ودلل على أن أمريكا ستقاوم أى محاولة لقلب ميزان القوى فى أوروبا، إلاّ أنه أوضح فى نفس الوقت أن الولايات المتحدة غير مستعدة لدفع ثمن باهظ لإيقاف هتلر، فبمقتضى هذا النظام (الدفع ـ والنقل) التزمت الولايات المتحدة ببيع أسلحة للدول الديمقراطية على شرط أن تتولى هذه الدول نقلها.

وفيما بعد، عندما لاحت مدى ضراوة الخطر الألمانى ذهب روزفلت إلى أبعد من ذلك، ولكنه لم يكن أبداً ـ حتى بعد الهجوم اليابانى على بيرل هاربر ـ مستعداً لأن يقتطع أكثر من ذلك من الاقتصاد المدنى، أو أن تدفع أمريكا ثمنا فادحاً فى الأرواح أو المعدات لهزيمة هتلر. إن الفكرة السائدة فى ذلك الوقت فى الولايات المتحدة كانت تحقيق النصر بأقل تكلفة ممكنة.

ومن سخرية القدر أن الولايات المتحدة التى تحملت أقل خسارة فى الأرواح والمعدات، بالمقارنة مع خسائر الدول الحليفة، قد فازت بنصيب الأسد من غنائم

النصر فى الحرب؛ حيث أصبحت فى نهاية الحرب أقوى دولة فى العالم، وذلك بفضل سياسة التعبئة المحدودة التى استنها روزفلت، وتمسك بها طوال سنوات الحرب.

وهناك أيضا ثمة نتيجة أخرى تدعو للسخرية، وهى أن ملايين الأمريكيين آمنوا بأن الاتحاد السوفيتى خدع دولتهم فى المؤتمرات التى عقدت خلال الحرب، وأن التضحيات الجسيمة التى تحملتها الولايات المتحدة ذهبت هباء، وأن روسيا هى الفائزة الوحيدة فى حقيقة الأمر، رغم أنها فقدت ٢٠ مليون جندى وما يقرب من نصف طاقتها الإنتاجية. أما النقطة الجديرة بالذكر.. فهى أن الولايات المتحدة قد حلت محل بريطانيا، ولعبت الدور الذى كانت بريطانيا تقوم به فى القرن ١٩؛ حيث تجنبت خوض معارك ضارية فى القارة، وعمدت إلى مكافأة الآخرين لكى يخوضوا المعارك بدلا منها، وبالتالى أصبحت الولايات المتحدة الأمة الوحيدة التى تمكنها قوتها، من أن تتربع فى المركز المسيطر المهيمن فى العالم ولا يهم هنا إذا كان ذلك قد جاء نتيجة تطبيق عبقرى لسياسة الحرص على المصلحة القومية، أم أنه كان مجرد حظ جغرافى، أم مزيجا من الاثنين.

إن الولايات المتحدة قدمت فقط ما كان ضرورياً ولا مفر منه، رغم أنها ـ خلال المراحل الأولى للحرب ـ عرضت نفسها لمخاطر جسيمة غير عادية، عندما رفضت تقديم المزيد.

ولم يدرك مدى فداحة تلك المخاطر إلا روزفلت وقلة غيره من العالم بأسره؛ ففى ١١ أكتوبر ١٩٣٩، قام الفيزيائى الشهير البرت أينشتين (لاجئ يهودى هارب من النازيين) بتحذير روزفلت من تركيز الألمان على حل مشكلة تسخير الطاقة الذرية لصنع قنبلة. وكان حصول هتلر على قنبلة ذرية سوف يمكنه من هزيمة أوروبا بأسرها، وبالتالى كان لرسالة أينشتين أثرها على روزفلت، فتشاور سراً مع كبار زعماء الكونجرس، وقرروا البدء فى مشروع «مانهاتن»، الذى كان يهدف الى إنتاج قنبلة ذرية، يمكن إلقاؤها من الطائرات مع التوصية بضرورة الانتهاء من إنتاجها، قبل انتهاء هتلر من خططه لانتاج هذه القنبلة.

كان مشروع مانهاتن بداية التزاوج بين العلم والحكومة فى الولايات المتحدة، الذى يعد من أهم معالم التراث الذى خلفته الحرب العالمية الثانية، كما كان بداية استخدام السرية المطلقة فى أنشطة الحكومة بدافع المحافظة على الأمن القومى؛ إذ لم يكن أغلبية أعضاء الكونجرس على دراية بالغرض الذى استخدمت فيه الاعتمادات التى وافقوا على تخصيصها لمشروع مانهاتن.

وبالرغم من الدور الحاسم الذى قام به روزفلت فى مجال القنبلة الذرية، كان جدا لاشتراك أمريكا فى صد هتلر محدداً بوضوح وعناية، فبعد اكتساح الجيوش الألمانية لبولندا فى خريف ١٩٣٩ بدأت فترة من الجمود على الجبهة الغربية، فأطلق عليها الشعب الأمريكى «حرب زائفة»، ولم ير أى داع لحشد موارده من أجل بناء القوات المسلحة؛ ولذلك أمر روزفلت بزيادة عدد الجيش النظامى من ٢١٠,٠٠٠ إلى ٢١٧,٠٠٠ جندى فقط، وطالب بميزانية للجيش قدرها ٨٥٣ مليون دولار، قام الكونجرس بتخفيض ١٠ ٪ منها تقريبا. إن هذه الأرقام المحدودة كانت بمثابة إعلان للعالم أن الولايات المتحدة، ليست لديها النية للاشتراك فى الحرب الدائرة فى أوروبا فى المستقبل القريب.

وكان رد فعل الولايات المتحدة إزاء هجوم ألمانيا فى ربيع ١٩٤٠ صارماً من الناحية الشفوية، أما من الناحية العملية فقد كان الرد محدوداً؛ إذ طالب الرئيس باعتمادات إضافية لزيادة عدد القوات الى ٢٥٥,٠٠٠، ثم وافق الكونجرس على زيادة القوات إلى ٣٧٥,٠٠٠ جندى استجابة للمناشدات اليائسة لـ«جورج مارشال»، رئيس أركان الجيش الأمريكى. وفى نفس الوقت استمر تقدم النازيين. وفى ١٥ مايو طالب رئيس الوزراء البريطانى «ونستون تشرشل» بإلحاح بضرورة إمداده بأربعين أو خمسين مدمرة أمريكية، لحماية خط الإمدادات البريطانى فى المحيط الاطلنطى. ورغم أن «تشرشل» أصر على أنها مسألة «حياة أو موت» إلا أن «روزفلت» تردد فى إجابته إلى طلبه. وفى ٥ يونية بعد أن أصبح سقوط فرنسا وشيكاً، وكادت بريطانيا أن تواجه هتلر بمفردها، أخبر روزفلت أحد أعضاء مجلس الوزراء أن

نقل المدمرات إلى إنجلترا، يتطلب صدور قرار من الكونجرس، وألمح إلى أنه غير مستعد للمطالبة بمثل هذا القرار.

وفى ١٠ يونيه ١٩٤٠ أفصح الرئيس عن نواياه، عندما أعلن أمام دفعة متخرجة من جامعة «ڤرچينيا» أن الولايات المتحدة سوف تتبع طريقين واضحين فى نفس الوقت، أولهما: إمداد فرنسا وبريطانيا بالموارد المادية، وثانيهما: الإسراع بتطوير تلك الموارد لدعم القوات المسلحة الأمريكية. ولقد نال خطابه ترحيب مؤيدى سياسة التدخل فى الولايات المتحدة باعتباره يمهد لطريق جديد. ولكن سرعان ما اكتشف الفرنسيون حدود ذلك الاتجاه؛ فلقد ناشد رئيس الوزراء الفرنسى «بول رينو» فى ١٤ يونيه روزڤلت إرسال قوات أمريكية إلى أوروبا لمساعدة فرنسا فى شدتها، إلا أن طلبه قوبل بالرفض. وحتى لو توفرت لروزڤلت الرغبة فى تلبية المطالب الفرنسية.. فإنه لم تكن لديه القوات التى يمكن إرسالها عبر البحار. وبعد أسبوع وقع الفرنسيون اتفاقية هدنة مع ألمانيا.

كان سقوط فرنسا صدمة قوية، حيث لم يكن ذلك متوقعاً فى أى طرف، بل إن الألمان انفسهم لم يتوقعوا ذلك. وغنى عن القول إن خبراء الجيش الأمريكى أنفسهم لم يتوقعوا ذلك أيضاً. وأصبحت الولايات المتحدة فى مواجهة موقف جديد تماماً؛ إذ لم يعد فى إمكان الشعب الأمريكى أن يتصور نجاح البريطانيين والفرنسيين فى صد الألمان بمفردهم، فقد يتمكن البريطانيون من النجاة بمفردهم، وأن كان ذلك الاحتمال أصبح موضع شك ـ لكن لم يكن بمقدورهم وحدهم رد التوسع النازى. وبالتالى، أصبحت القارة الأوروبية ـ آنذاك ـ تحت سيطرة أكثر دول القارة انضباطاً، وهى الدولة التى تمتعت بأعلى مستوى تعليمى وأعلى طاقة إنتاجية. لقد اختفى ميزان القوى. ورغم أن الخطر الذى كان يمثله هتلر لم يكن يهدد العالم الجديد فى حينه، إلا أن احتمال تمكنه من هزيمة إنجلترا، والسيطرة على الأسطول البريطانى، ثم اكتساح روسيا، ـ وهو احتمال ممكن حدوثه آنذاك ـ كان سيسمح له بالتحكم فى أعظم قوة عسكرية عرفها العالم.

وبالرغم من أنه كان من الصعوبة بمكان التنبؤ بمسار الأحداث، إلا أنه أصبح واضحاً أنه على الولايات المتحدة أن تتحرك بدلاً من اكتفائها بموقف المراقب والمتفرج؛ فلقد كان من الممكن وضع حد لتحرك هتلر، وإعادة التوازن إلى أوروبا، إذا حصلت بريطانيا على مساعدة من أطراف أخرى.

لاشك أن سياسة العزلة كانت تعوق اتخاذ الرئيس للقرارات، كما كان روزفلت يعانى صراعاً داخلياً يعكس ارتباك عامة الشعب الذى ظل يساوره الشعور بخطأ دخول الحرب العالمية الأولى. ولذلك أعلن روزفلت فى خطاب شهير، ألقاه فى بوسطن فى ٣٠ أكتوبر ١٩٤٠، وعده للشعب الأمريكى «أود أن أؤكد لكم أيها الآباء والأمهات ما قلته قبلاً، وأقوله مرة تلو الأخرى لن أرسل بأبنائكم إلى أية حروب أجنبية».

كذلك لم يتم توفير قدر كبير من المعدات الأمريكية؛ إذ لم تتغير وسيلة حصول البريطانيين على المعدات عن طريق «الدفع ـ والنقل»، بل استمروا يعانون من نقص المدمرات الضرورية لحماية القوافل التى تنقل تلك البضائع بعد شرائها. وفى ٢١ يونيه ١٩٤٠، تقدم تشرشل بالتماس آخر للحصول على مدمرات، وقد صاغه ببلاغة شديدة: «سيدى الرئيس.. بعظيم الاحترام يجب علىّ أن أخبرك أنه فى إطار التاريخ الطويل للعالم.. فإن هذا شئ يجب عمله الآن». وبدأ البريطانيون يفقدون أعداداً مذهلة من البواخر التجارية، ووصلت معركة بريطانيا إلى أوجها عندما بدأ رئيس الأركان الألمانى يعد خططه لغزو الجزر البريطانية. وعندئذ سمح الرئيس لمجموعات خاصة بإعداد تفاصيل صفقة «مدمرة ـ مقابل ـ قاعدة»، مكنّت البريطانيين من الحصول ـ فى ٢ سبتمبر ـ على خمسين مدمرة، مقابل موافقتهم على قيام الولايات المتحدة بتأجير قواعد دون مقابل بالممتلكات البريطانية من برمودا حتى غينيا البريطانية.

فى ذلك الوقت زاد التوتر بين وزارة الحربية والبيت الأبيض، إذ كان الجنرال «مارشال» يرى أن الطريقة الوحيدة لهزيمة هتلر هى مجابهة الجيش الألمانى وهزيمته

فى سهول شمال غرب أوروبا وكان نجاح تلك الخطة يتطلب جيشاً ضخماً، لم يكن من الممكن توفيره إلا بالتجنيد الإجبارى ولكن فحوى الحملة الانتخابية لروزفلت للفترة الثالثة لم تمكنه من طلب تأييد الشعب لمشروع قرار التجنيد الإجبارى.

وفى هذا الإطار أثبت الكونجرس أنه أكثر استعداداً للتصرف من الرئيس الأمريكى؛ حيث تمكنت مجموعات خاصة بقيادة الجمهوريين «هنرى ستيمسون» و «إليهو رووت» من إقناع أعضاء الكونجرس من أنصار سياسة التدخل بتقديم مشروع قرار الخدمة العسكرية الإلزامية إلى مجلسىّ الكونجرس. وبالرغم من أن روزفلت ظل على موقفه المتحفظ إلا أنه أذن للجنرال «مارشال» بتأييد المشروع،كما عين «ستيمسون» ـ وهو من أنصار سياسة التدخل ـ وزيراً للحربية. وفى أواخر أغسطس ١٩٤٠ قام الكونجرس بتفويض الرئيس لاستدعاء الحرس الوطنى وغيره من القوات الاحتياطية للخدمة العسكرية فى الميدان لمدة عام. وفى ١٦ سبتمبر نص على التجنيد الإجبارى لمدة عام واحد، وقدحدّد هذان الإجراءان استخدام القوات الأمريكية فى العالم الغربى فحسب.

فى نوفمبر ١٩٤٠ ، فاز روزفلت فى الانتخابات، فاعتقد تشرشل وآخرون غيره أن الرئيس الذى أعيد انتخابه، سيكون ميالاً إلى اتخاذ موقف أكثر فعالية فى محاربة هتلر؛ لذا أرسل رئيس الوزراء البريطانى إلى روزفلت، وصفاً مطولاً وكئيبا لوضع بريطانيا مؤكدا أن أموال بلده أخذت فى النفاذ، وأشار إلى أن سياسة «الدفع ـ والنقل» لم تعد تفى بالغرض؛ لأن «الوقت قد أزف، ولن يكون فى مقدور بلادنا الدفع نقداً للسفن والمعدات الأخرى.»

فتعاطف معه روزفلت؛ واستدعى رجال الصحافة فى ٧ ديسمبر ١٩٤٠ حيث عرض عليهم وصفاً لوضع بريطانيا العصيب قائلاً إنه مؤمن بأن «خير وسيلة للدفاع عن الولايات المتحدة هى توفير أفضل الوسائل للدفاع عن بريطانيا العظمى.» ولكى يتجنب روزفلت الأخطاء التى وقع فيها «ودرو ويلسون» والجدل الطويل الذى ثار

حول ديون الحرب العالمية الأولى، أعلن أن هدفه إمداد إنجلترا بالمعدات التى تحتاجها، إما على سبيل الإعارة أو الإيجار، وقارن خطته تلك بفكرة إعارة خرطوم الحديقة إلى جار اشتعلت النار فى منزله.

بعد عدة أيام خاطب روزفلت أمته فى الإذاعة، مبرراً أهمية سياسة «الإعارة والإيجار» للأمن القومى «بأن سقوط انجلترا يعنى أننا سنضطر جميعاً فى أمريكا الى الحياة على مرمى من فوهة البندقية»؛ كما قال إن أفضل طريق لإقصاء الولايات المتحدة عن الحرب هو «أن نبذل كل ما فى وسعنا الآن لمساندة الأمم التى تدافع عن نفسها ضد هجمات جيوش المحور» ثم أعلن مرة أخرى أنه ليست لديه النية لإرسال الشباب الأمريكى إلى أوروبا؛ لأن هدفه الوحيد هو «إبعاد شبح الحرب عن بلدنا وشعبنا»، الأمر الذى سيتحقق عن طريق جعل أمريكا «مؤسسة عظيمة لتصنيع الديمقراطية».

ثار أنصار سياسة العزلة، على أساس أن «الإعارة والإيجار» سياسة غير حيادية على الإطلاق؛ مما يضع الولايات المتحدة فى صف بريطانيا بشكل واضح. أما السيناتور تافت فقد رأى أن فكرة إعارة معدات عسكرية فكرة سخيفة؛ لأنها «مثل إعارة قطعة من اللبان التى تعزف عن استردادها بمجرد استعمالها.»

ومع ذلك تغلبت الإدارة على المعارضة فى أوائل مارس ١٩٤١، حين أقر الكونجرس مشروع قرار «الإعارة والإيجار»، مع تخصيص اعتماد قُـدِّرَ مبدئياً بسبعة ملايين دولار؛ فعلق الوزير «ستيمسون» على ذلك قائلا: «إنه إعلان لحرب اقتصادية». وبينما كان مبدأ الإعارة والإيجار جريئاً فى مفهومه، كان تنفيذه أقل جرأة.

لقد استغل رجال الإدارة الأمريكية النظام الجديد لإدخال الشركات الأمريكية فى سوق الكومنولث البريطانى؛ ولإجبار البريطانيين على بيع ممتلكاتهم فى الأمريكيتين. ومن ناحية أخرى.. عارض الجيش إرسال الأسلحة التى تحتاجها الولايات المتحدة الى

بريطانيا؛ مما أدى إلى إرسال كميات ضئيلة من السلع الحربية لم تفى بالحاجة. وقد تكون سياسة الإعارة والإيجار أكثر التصرفات الخيرة فى تاريخ البشرية على حد تعبير «تشرشل»، ولكنها لم تؤد الغرض منها.

كان الوضع يتطلب تدخل أمريكا بشكل مكثف؛ وعندما أدرك روزفلت ذلك، أعلن عن حياد منطقة الأطلنطى التى امتدت حتى أيسلندا تقريباً؛ ثم أصدر أوامره الى البحرية الأمريكية بأن يتولى خفر السواحل مسح تلك المنطقة لإبلاغ الإنجليز بمواقع الغواصات الألمانية. وفى أبريل ١٩٤١ انتقلت القوات الأمريكية إلى جزيرة «جرينلاند». وبعد غزو هتلر لروسيا فى يوليه ١٩٤١، أمر روزفلت بأن يكون دور أمريكا أكثر إيجابية، فاحتلت القوات الأمريكية أيسلندا مما مكّـن القوات البريطانية من التفرغ للشرق الأوسط، كما بدأت البحرية الأمريكية فى حراسة القوافل حتى تصل إلى أيسلندا.

وبحلول سبتمبر من نفس العام، كانت البحرية الأمريكية متورطة تماماً فى الحرب ضد ألمانيا فى المحيط الأطلنطى. وكانت تلك بداية سلسلة «حروب الرئاسة» التى دخلها رئيس السلطة التنفيذية. دون الرجوع الى الكونجرس لإعلان الحرب وفقاً لنص الدستور. ولم يتوقف الأمر عند عدم إعلان الحرب، بل إنها لم تكن حتى معروفة على الأقل بالنسبة للشعب الأمريكى. وعندما قامت غواصة ألمانية بإطلاق النار على المدمرة الأمريكية التى كانت تطاردها، شجب روزفلت هذا التصرف، وأمر البحرية بإطلاق النار فوراً على كل الغواصات الألمانية التى تواجهها. فى أكتوبر، نجح روزفلت فى إقناع الكونجرس بإزالة كل القيود المفروضة تقريباً على التجارة الأمريكية، بما يمكن السفن التجارية الأمريكية من نقل البضائع إلى الموانئ البريطانية، ثم قدّم خدمات «الإعارة والإيجار» إلى روسيا أيضاً.

بحلول نوفمبر ١٩٤١ أصبحت لهجة روزفلت ـ سواء سراً أو علانية ـ تدل على اشتراكه المفرط فى الحرب؛ إذ أدى وصول ألمانيا إلى أبواب موسكو الى استحالة الاستخفاف بالخطر. ويبدو أن روزفلت كان يتوقع ألاّ يـطول سماح هتلر بنقل

السلع الى بريطانيا على متن سفن أمريكية؛ وأنه قد يصدر تعليماته الى الغواصات الألمانية بإغراق البواخر الأمريكية، وعندئذ يتمكن روزفلت من التغلب على معارضة أنصار سياسة العزلة فى الكونجرس ويحصل على تصريح باعلان الحرب.

من المستحيل معرفة ما اذا كان الرئيس روزفلت محقاً فى ذلك التصرف أم لا. فمن الواضح أنه بحلول ديسمبر ١٩٤١ كانت السياسة الخارجية الأمريكية فى أوروبا قد فشلت فى المساهمة بطريقة فعالة فى الحد من تحرك هتلر، وأن الخطوات التى اتخذها الرئيس والكونجرس لحماية المصالح الأمريكية فى أوروبا كانت خطوات محدودة ومتعثرة، فقد بات تطور الأحداث متوقفاً على روسيا وبريطانيا: فإذا استطاعتا الصمود، فإن الولايات المتحدة ستمدها بالمعدات والرجال لتأدية المهمة. وفى هذه الأثناء.. كانت الولايات المتحدة تقوم بمجازفة جسيمة.

إن الحكومة الأمريكية كانت تجرفها رياح العاصفة، دون وجود قوة أو دفة، تساعد على استقرارها. ولم تستطع أعظم أمة ديمقراطية صناعية فى العالم أن تصد تيار الفاشية. لقد كان روزفلت فائق الحذر لدرجة أنه رفض أن يضغط على الكونجرس، سواء سراً أو علانية، عندما نفذت صلاحية قرار التجنيد الإجبارى فى سبتمبر ١٩٤١، والذى كان لابد من مد صلاحيته على الأقل لاستبقاء الجنود الذين أنهوا تدريبهم فى الجيش. إلا أن الجنرال «مارشال» ـ من وراء الكواليس ـ استطاع استصدار قرار التجنيد من الكونجرس. ومع ذلك ظل حجم الجيش الأمريكى صغيراً إلى حد كبير (١,٦ مليون) وهو حجم، لم يكن ليمكن الولايات المتحدة من القيام بدور فعال فى الصراع الدائر فى أوروبا.

من حسن طالع الولايات المتحدة أن بريطانيا وروسيا صمدتا أمام ألمانيا، مما مكن أمريكا فيما بعد من استخدام قواتها للمساعدة فى الانتصار فى الحرب. ومن حسن طالع روزفلت أن اليابان كذلك حلت مشكلته الخاصة بكيفية تدبير الاشتباك الفعلى فى الحرب.

كانت اليابان الدولة المعتدية فى المحيط الهادى، وهو الدور الذى قام به موسولينى فى البحر الأبيض المتوسط، وقام به هتلر فى أوروبا. فمنذ منتصف الثلاثينيات، اشتبكت اليابان فى حرب للغزو على الصين. ولقد أصرت الولايات المتحدة ـ منذ البداية ـ على ضرورة انسحاب اليابان واحترامها لسياسة الباب المفتوح فى الصين؛ ولكن اليابانيين تجاهلوا روزفلت لأنه لم يدعم مطالبه بممارسات فعلية.

دعى البرنامج اليابانى إلى أن تكون آسيا للآسيويين، على الرغم من أن البنية الجديدة كانت تسمح بتفوق بعض الآسيويين على البعض الآخر. وعرض اليابانيون أن يحلوا محل الحكام البيض فى الصين والهند الصينية وماليزيا وبورما والفلبين وأندونيسيا؛ فقد كانت سيطرة اليابان على تلك المناطق ضرورية لكى تصبح اليابان قوة عظمى، لأنها بالرغم من مواردها البشرية كانت تفتقر إلى المواد الخام الأساسية خاصة البترول الذى كان متوفراً فى جنوب شرق آسيا.

تقع المستعمرة الأمريكية فى الفلبين على الخط الذى اعتزمت اليابان التقدم عبره. وكان اليابانيون مقتنعين (سواء كانوا مصيبين فى ذلك أم مخطئين) أن الولايات المتحدة لن تسمح بتقدمهم داخل ماليزيا أو أندونيسيا دون مهاجمة خطوط اتصالاتهم. والأهم من ذلك اقتناعهم بأن الولايات المتحدة لن تسمح لهم ـ عن طيب خاطر ـ بأن يصبحوا قوة عظمى؛ وبالتالى ستعمل دائما على مقاومة تقدمهم جنوباً. وهكذا أدرك اليابانيون أنهم معرضون للهلاك، إذا استفزوا الولايات المتحدة لدخول الحرب مما يجعلها تختار القتال حتى النهاية؛ إلا أنهم شعروا أنهم هالكون أيضاً دون دخول الحرب. وفى هذا الصدد كتب أمير يابانى من عائلة الامبراطور فيما بعد «ان اليابان دخلت الحرب بإرادة مأساوية ونكران للذات نشأ من حالة يأس».

إن سقوط فرنسا فى ١٩٤٠ واستغراق بريطانيا فى محاربة ألمانيا، أفسح الطريق أمام اليابانيين لدخول جنوب شرق آسيا، كما أن عجز اليابان عن إحراز أى تقدم فى حربها مع الصين، دفعها الى البدء فى تنفيذ برنامجها للتوسع جنوباً لكى تتغلب على نقص البترول الذى شل حركتها. ولقد كان الاتحاد السوفيتى والولايات

المتحدة، الدولتين الوحيدتين اللتان يمكنهما التدخل فى سياسة اليابان؛ ولذا لجأت اليابان إلى الحل السياسى لتقليل ذلك الخطر؛ فوقعت مع الاتحاد السوفيتى ـ فى نهاية صيف ١٩٤٠ ـ معاهدة عدم اعتداء لمدة خمس سنوات، ورحب ستالين بتوقيع تلك الاتفاقية نظراً لتخوفه من هتلر.

ثم وقعت اليابان الميثاق الثلاثى مع ألمانيا وإيطاليا، وهو حلف دفاعى يلزم الأطراف بالمساندة المتبادلة فى حالة تعرض أى منهم للهجوم. وعندما قامت ألمانيا بغزو روسيا فى يونية ١٩٤١، فتحت آفاقا جديدة أمام اليابان مما أثار مناقشات داخلية حامية: فهل يجب على اليابان أن تنتهز فرصة الموقف العصيب الذى تواجهه روسيا مع ألمانيا فتهاجم السوفيت عن طريق سيبيريا؟

لقد اتجهت بعض القيادات العسكرية اليابانية لتأييد وجهة النظر هذه، بينما تبنى البعض الآخر رأياً مختلفاً تماماً؛ حيث اعتقدوا أنه نظراً لانهماك هتلر فى الشرق، فإن ألمانيا لم تعد مصدر خطر جسيم لبريطانيا؛ الأمر الذى عزّز القوة الأنجلو أمريكية فى المحيط الهادى، وبالتالى أصبح تشرشل فى موقف يسمح له بإرسال جزء من أسطوله الموجود فى الجزر البريطانية إلى المستعمرات البريطانية فى آسيا (وهذا ما حدث فعلاً فى ١٩٤١) لذلك يجب على اليابان أن تسعى إلى عقد اتفاق مع الولايات المتحدة، مع تقديم التنازلات الضرورية لدرء خطر الحرب. واتجه فريق ثالث إلى استمرار التمسك بغزو جنوب شرق آسيا، كما كان مخططاً من قبل.

لقد أصغى روزفلت لتلك المناقشات من خلال ماچيك* Magic (وهو الاسم الكودى الذى أطلق على الرسائل اليابانية التى تم حصرها وحل شفرتها) ووصفها

* بينما كان الأمريكيون يتصنتون على اليابانيين كان البريطانيون قد توصلوا إلى حل الشفرة الألمانية (التى أطلقوا عليها نظام الترا Ultra) كما توصل الألمان إلى حل الشفرة البريطانية. وبينما كان اليابانيون يحلون شفرة الرسائل الأمريكية، كان الروس يقرأون رسائل اليابانيين اللاسلكية. والمحصلة النهائية لكل ذلك، هى أن المعلومات التى حصل عليها الأمريكيون من (ماجيك) وحصل البريطانيون عليها من (الترا) كانت أكثر نفعاً من تلك المعلومات التى حصلت عليها دول المحور من أجهزة الرصد الخاصة بها.

بأنها «مناقشة سقيمة وصراع مرهق... لكى يقرروا الطريق الذى يجب أن يسلكوه: مهاجمة روسيا أو مهاجمة جنوب شرق آسيا، أو الوقوف على الحياد مع إظهار مزيد من الود نحونا». وتوصلوا إلى قرار برفض دخول الحرب مع روسيا، والتحرك مباشرة إلى الجنوب مع محاولة تجنب الحرب مع الولايات المتحدة، عن طريق استمرار الدخول فى مفاوضات لأطول وقت ممكن. وكانت الخطوة الأولى هى احتلال الهند الصينية (الفرنسية)، الأمر الذى تم دون مقاومة، فسنحت لليابان فرصة تملك قواعد جوية وبحرية، تمتد من هانوى إلى سايجون، وتمكنها من شن هجمات على سنغافورة والفلبين وما تعرف الآن باسم أندونيسيا.

إن البحرية الأمريكية لم تسع الى استفزاز اليابانيين لأنها كانت فى حاجة لمهلة من الوقت؛ ليس فقط لهزيمة هتلر، وإنما أيضا لبناء قوة هجومية ذات مستوى رفيع. لذلك أشاد الأميرال «هارولد ستارك» رئيس العمليات البحرية على الرئيس بألايتحرك عندما يدخل اليابانيون الهند الصينية (الفرنسية). وبصرف النظر عن الاعتبارات العسكرية آنذاك، كان على روزفلت أن يأخذ فى اعتباره العوامل السياسية، إذ دلت الاستفتاءات على أن ٧٠٪ من الشعب كان يفضل مخاطر الحرب فى المحيط الهادى عن استمرار اليابانيين فى توسعهم.

لذا قام روزفلت بتجميد جميع الأرصدة اليابانية فى الولايات المتحدة؛ مما حاز على تأييد البريطانيين والهولنديين، وأدى الى حصار اليابان اقتصادياً، حيث لم يعد فى قدرتها شراء بترول أو صلب أو غيرها من السلع الضرورية.

أدت المقاطعة إلى إدراك اليابانيين بوضوح أنهم فى مواجهة أحد أمرين: إما عقد اتفاقية مع الولايات المتحدة تضمن لهم وسيلة للحصول على البترول، وذلك مقابل الانسحاب من الهند الصينية أو حتى من الصين؛ أو الدخول فى الحرب. وكان الأمل الضعيف الوحيد المتبقى هو أن تخوف أمريكا من خوض حرب عبر المحيطين قد يدفع روزفلت إلى قبول حل وسط. ولذلك سعى اليابانيون منذ أغسطس حتى نوفمبر ١٩٤١ إلى إبرام تسوية سياسية مقبولة، وفى نفس الوقت عكفوا على بلورة خططهم

واستعداداتهم الحربية. وفى حالة نجاح المساعى الدبلوماسية، كان يمكن إلغاء الهجوم العسكرى بما فى ذلك خطة الهجوم على الأسطول الأمريكى فى «بيرل هاربر».

إن جوهر القضية هو أن اليابانيين طالبوا الولايات المتحدة بإطلاق أيديهم فى آسيا، وعرضت اليابان سلسلة من الاقتراحات لأشكال مختلفة لتحقيق هذا الهدف؛ ولكن النقاط الأساسية تضمنت دائما: وضع نهاية للتأييد الأمريكى للصين؛ وتعهد أنجلو ـ أمريكى بعدم التدخل فى أى تسوية بين اليابان والصين أو معارضتها؛ واعتراف الغرب (بوضع اليابان الخاص) فى الهند الصينية (الفرنسية)؛ وعقد اتفاق أنجلو أمريكى يضمن عدم تعزيز قواعدهم فى الشرق الأقصى؛ واستئناف العلاقات التجارية مع اليابان بما فى ذلك بيع البترول.

على الرغم من استعداد الأمريكيين لقبول حل وسط من أجل النجاح فى إبرام تسوية، إلا أنهم رفضوا مجرد فكرة إعطاء اليابانيين حرية التصرف فى الصين. ونظراً لأن هذه النقطة بالذات كانت موضع إصرار اليابانيين، فلم يعد هناك مفر من المواجهة، بالرغم من أن كلا الجانبين كان يفضل تجنب الحرب؛ أى إن كليهما كان يفضل تحقيق أهدافه سلمياً، إلا أنهما كانا على أهبة الاستعداد للمواجهة من أجل حسم النزاع. فى اليابان.. أصرت القوات المسلحة على ضرورة الهجوم؛ رغم معارضة المدنيين؛ بينما انعكس الوضع فى أمريكا . وفى أكتوبر استقال رئيس وزراء اليابان «فوميمارو كونوى» عندما فشل فى الحصول على موافقة القوات المسلحة على انسحاب جزئى من الصين لكى: «ننقذ أنفسنا من مآسى حرب يابانية أمريكية». أما خليفته جنرال «هيدكى توجو» فكان مستعداً لاستئناف المفاوضات مع الولايات المتحدة على ألا تستمر أبعد من نوفمبر. وفى حالة عدم إحراز أى تقدم حتى ذلك الحين، يمكن لليابان أن تشن هجومها.

فى الولايات المتحدة تمسك روزفلت بموقفه، على الرغم من أن مستشاريه العسكريين حثوه على ضرورة تجنب مواجهة أزمة مع اليابان حتى الانتهاء من المواجهة

مع ألمانيا. وفى ٢١ نوفمبر قام الوزير «هال» بمحاولة أخيرة للسلام، مقترحاً أن تعرض الولايات المتحدة هدنة لمدة ثلاثة شهور. وكان يمكن أن تقبلها اليابان لولا الاعتراضات العنيفة التى أبداها القائد الصينى «تشيانج كاى شك» مما دفع روزفلت إلى منع «هال» من تقديم العرض. وفى ٢٧ نوفمبر قال «هال» لـ «ستيمسون» «إننى اتبرأ من مسألة اليابان، إن الموقف الآن فى يد الجيش والبحرية».

وبعد حوالى أسبوع، فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ هاجم اليابانيون «بيرل هاربر»، والفلبين وماليزيا وتايلند* وسرعان ما هاجموا ما تعرف اليوم باسم أندونيسيا. وفى ٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا والولايات المتحدة الحرب على اليابان. ومع ذلك ظلت الولايات المتحدة تفتقر إلى مبرر يدفعها لإعلان الحرب على ألمانيا، حتى أثناء الاهتياج الذى أثاره الهجوم على «بيرل هاربر» لم يجرؤ روزفلت أن يطالب الكونجرس بإعلان الحرب على ألمانيا. وقد افترضت كل الخطط الحربية السابقة توحيد جهود الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ضد ألمانيا، وفجأة بدا وكأن الحرب تسلك منهجاً غير متوقع على الإطلاق بسبب انهماك الأمريكيين فى قتال اليابانيين فقط. وفى ١١ ديسمبر وضع هتلر نهاية لهذه الشكوك بإعلانه الحرب على الولايات المتحدة**.

---

*من أكثر الأساطير التى ذاعت فى التاريخ الأمريكى هى أن روزفلت كان يعلم بالهجوم على بيرل هاربر، ولكنه رفض تحذير القادة فى هاواى مقدماً. وحقيقة الأمر هى أن واشنطن حذرت القوات المسلحة فى هاواى عدة مرات من اقتراب نشوب الحرب، ولكن لم يصدر تحذير خاص بالهجوم على بيرل هاربر على وجه التحديد، إذ لم يتخيل أحد مطلقاً أن لدى اليابانيين القدرة على شن مثل تلك الغارة الجوية، كما أن (ماچيك) عجزت عن تقديم أى مساعدة بسبب حرص الأسطول اليابانى على صمت الاتصالات اللاسلكية.

** تصرف يتعذر تعليله. لم ينجح أحد فى شرح مبررات هتلر من وراء اعلانه الحرب على أمريكا إذ إن شروط الميثاق الثلاثى لم تمل عليه هذا التصرف كما أنه لم يناقش معاركه مع قواده العسكريين أو مكتب الشئون الخارجية أو ـ فى حقيقة الأمر ـ مع أى شخص ذى دلالة.

وهكذا، وبعد سلسلة طويلة من الانتصارات ارتكب هتلر خطأين مصيريين فيما بين يونيو وديسمبر ١٩٤١ ـ ألا وهما غزو روسيا وإعلان الحرب على الولايات المتحدة.

وأخيرا دخلت الولايات المتحدة الحرب مع المحور فلقد تم تحدى الوضع الراهن وتغييره، ولم تستطع الولايات المتحدة المحافظة عليه دون دخول الحرب، وأصبحت هناك حاجة ماسة لهزيمة المحور فى المعركة، وهى مهمة ذات أبعاد هائلة، ولكنها كانت تحمل فى طياتها فرصاً عظيمة لنشر نفوذ الولايات المتحدة وقواتها؛ لذا هرعت الولايات المتحدة، واستحوذت على تلك الفرص، حتى وهى منهمكة فى إنقاذ العالم من الرعب الذى اجتاحه من احتمال أن يحكمه هتلر والجيش اليابانى.

obeikandl.com